View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE
provided by E-Jurnal UIN (Universitas Islam Negeri) Alauddin Makassar

زهير بن أبى سلمى شاعر جاهلى ذو الحكم

بقلم: محمد إلهام صالح
(مدرس تاريخ الأدب العربي يكلية الآداب بالجامعة الإسلامية الحكومية علاءالدين وحومانيورا بمكاسر)

Abstrak

Zuhaer bin Abi Sulma adalah salah satu tujuh dari penyair jahili yang terkenal, karya syairnya diabadikan dengan tulisan tinta emas kemudian digantung di tirai penutup dinding Kabah, Zuhaer berbeda dengan penyair jahili yang lain pada zaman jahliyah karena syair-syairnya betul-betul diteliti sebelum diekspressikan ke khalayak ramai, Zuhaer juga terkenal karena kandungan makna syairnya penuh kata hikmah.

كلمات المفتاح: الحكم, الشاعر, زهير.

I. تمهيد

تعتبر أشعار زهير بن أبي سلمى مملوءة بالحكم الحكيمة التى يختلف بها أشعار المعاصرين الجاهليين به كأمرؤ القيس والنابغة الذبيانى وطرفة ابن العبد[1] وكانت أشعار زهير بن أبي سلمى لها خصائص ومميزات تخالف غيرها من أشعار الجاهليين من التنقيح والروية حتى لا عجب أن زهير يمثل طبقة من الشعراء كان يسمون عبيد الشعر, لأنهم لا يحبون الإرتجال بل ينقحون أشعارهم قبل عرضها[2]. ومن هذه الجمل الوجيزة تعرض الأسئلة : من هو زهير ؟ وكيف كانت حكم أشعاره وهل لها مميزات وخصائص ؟ وكيف منزلته بين الشعراء الجاهليين ؟

II. نشأته وحياته وبيئته الشعرية

هو زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رياح المزَنى . فَأبوه من قبيلة مُزَيْنة, وكانت تجاور فى الجاهلية بنى عبد الله غطفان حيث كانوا ينزلون فى الحاجر بنجد شرقى المدينة وينزل معهم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان أخوال أبيه ربيعة. ويحدثنا الرواة أنه أقام فيهم زمنا مع أمه , وحدث أن أغار مع قوم منهم على طيئ وأصابوا نعما كثيرا وأموالا , ولما رجعوا لم ينفردوا له سهما فى غنائمهم فغاضبهم وانطلق بأمهاإلى قبيلته مزينة, ثم لم يلبث أن أقبل فى جماعة منها مغيرا على عشيرة أخواله.[3]

ولم يكادوا يتوسطون ديارها حتى تطايروا راجعين وتركوه وحده , فأقبل حتى دخل فى أخواله , ولم يزل فيهم حتى توفى ومن ثَمَّ وُلد له زهير وأولاده[4] فى منازله بنى مرة وبنى عبد الله بن غطفان .

ليس بين أيدينا شيئ واضح عن نشأة زهير سوى أنه عاش فى نازل بنى عبدالله بن غطفان وأخواله بن بنى مرة الذبيانيين[5] وفى كنف خاله بشامة بن الغدير , وكان شاعرا مجيدا كما كان سيدا شريفا ثريا, وكان بشامة من أحزم الناس رأيا فكان قومه يستشيرونه ويصدرون عن رأيه , ولم يكن له ولد , فلما حضرته الوفاة جعل يقسم ماله فى أهل بيته وأعطى زهيرا نصيبا منه, ويروى أنه قال له إنى أعطيتك ما هو أفضل من المال , فقال زهير : ما هو ؟ فقال له شعرى[6] وهو لم يرث عنه شعره وماله فقط , بل ورث عنه أيضا خلقه الكريم.

وفى أخباره أنه تزوج من امرأتين : أم أوفى وهى التى يذكرها كثيرا فى شعره , ويظهر أن المعيشة لم تستقم بينهما , فطلقها بعد أن ولدت منه أولادا ماتوا جميعا. والثانية التى تزوجها من بعدها هى كبشة بنت عمار الغطفانية , وهى أم أولاده : كعب وبجير وسالم, ومات سالم فى حياته ورثاه ببعض شعره[7]

وكان زهير يتحدث فى شعره طويلا عن حروب داحس والغبراء[8] مشيدا بهرم بن سنان والحارث بن عوف سيدى بنى مرة اللذين حقنا دماء عبس وذبيان بعد أن طال عليهما الأمد فى تلك الحروب, إذ تحملا ديات القتلى[9] , ويقال إنها كانت ثلاثة آلاف بعير أديا فى ثلاث سنين . واعتد زهير بهذه المنة الجليلة فأشاد بها معلقته. وظل طوال حياته يمدح هرما ويمجده.

ومن قصائده فى مدحهما معلقته المشهورة التى تبدأ بقوله :

أمِنْ أُمِّ أوفى دِمنة لم تتكلّم بحومنة الدّراج فالمتثلّم
سَعى ساعياغَيْظ بن مرّةَبعَدما تَبَزَّلَ مَابَيْنَ الْعشيرة بَالدم[10]
فَأَقْسمتِ بالبيتَ الّذى طاف حوله رجال بنوه من قُرَيشَ وجرهم[11]
يمينا, لَنِعم السِيدان وجدتما عَلى كل حال من سَحيل ومبرم[12]
تداركتمَا عبسا وذبيانَ بعدما تفانَوْا ودقُّوا بينهم عطر منشم[13]
وقد قلتما:إن ندرك السِّلم واسعا بمالٍ معروفَ من الأمرَ نَسلمُ[14]
فأصبحتما منها علَى خير موطن بعيدَين فيها من عقوق ومأثم

هذه الأبيات هى جانب من معلقة زهير, ذلك الجانب الذى يتضمن الأقوال الحكمية , فتبدأ هذه القطعة بذكر الحارث بن عوف وهرم بن سنان (ساعيا غيظ بن مرة) وذكر فضلهما فى وقف الحرب وحجتهما القائمة عَلى أنَ المَال شيئ رخيص جدا إذا استطاع الإنسان أن يشترى به السِّلم .

ثم يلتفت الشاعر إلى المتحاربين فيخاطب الأحلاف (بنى أسد وبن غطفان – وهم بنو عبس وبنو ذبيان – وبنو طيء) , ويخص بالذكر بنى ذبيان لأنهم فيما يبدو كانوا أقدرَ من غيرهم على وقف الحرب لو ارادوا. والشاعر هنا يخوف المتحاربين من نتائج الحرب مع أن نتائج الحرب تكون فى العادة غير مجهولة خسارة للفريقين المتحاربين .

وتدل الدلائل على أنه عاش فى سعة من المال مما ورثه عن خاله وماكان يقدم له هرم وغيره من أشراف قبيلته من أموال ولعل ذلك ماجعل شعره يخلو من الفحش والعهر , فهو من ذوق آخر غير ذوق امرئ القيس المفتون بالنساء وتصوير مغامراته القصصية معهن , ومن غير شك كان وثنيا مثله مثل قومه , وإن كنا نلاحظ عنده بعض أبيات يؤمن فيها باليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب وثواب, يقول فى معلقته :

فلا تكتمنَّ اللهَ ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يُكتم اللهُ يعلم
يؤخَّر فيوضع فى كتاب فيدخَّر ليوم الحساب أو يعجَّل فينقَم

وإذا صحت نَسبة البيتين إليه كان ذلك دليلا على أنه أحد من تحنفوا فى الجاهلية وشكوا فى دينهم الوثنى[15] وأغلب الظن أنه لم يفارق دين قومه , إنما هى خطرات كانت تمر به .

III. الحكم فى أشعار زهير

كانَ زهير من الشعراء المُقدِّمين فى الجاهلية , فصيح الألفاظ يتجنب وحشى الكلام , سهل التركيب يرسل الكلام على السجية ولا يعاظل فيه , أى لا يدخل بعضه فى بعض حتى تتعقد تراكيبه ويغمض معناها , وكان صادقا فى ما يذكر فى شعره.

وفنون زهير هى المديح والعتاب والهجاء والوصف والغزل والنسيب والحكمة. وها الأخير هو موضوع بحثنا وهو الحكمة فى أشعار زهير , وكان زهير قد عاش عمرا طويلا فقد بلغ النضج عنده مبلغا كبيرا , ولذلك كثرت الحكمة فى شعره , ومن أمثال معلقاته الحكمية فى أشعاره ما يأتى :

سئمت تكاليف الحياة, ومن يعش ثمانين حولا لا أبالَكَ يسأم[16]
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تُخطئ يعمر فيهرم[17]
واعلم ما فى اليوم والأمس قبله ولكِننى عن علمِ ما فى غدٍ عم[18]
ومن لا يصانع فى أمور كثيرة يُضَرَّس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله عَلى قَومه يستَغنِ عنه ويُذمَم[19]
ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه يفِره ومن يتق الشتم يشتم[20]
ومن لا يذُد عن حوضه بسلاحه يهَدَّم ومن لا يظلِم الناس يَظلم

ومن هاب اسباب المنايا يَنَلْنَه وإن يرقَ أسباب السماءِ بِسُلَّمِ[21]
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرِّم نفسه لا يُكرِمِ
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناسَ تُعْلمِ[22]
ومن يجعل المعروف فىً غير أهله يكن حمده ذماً عليه ويندم
وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلمِ[23]
لسان الفتى نصف, ونصف فؤادهً فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وهذه الأبيات يسرد زهير عددا من الحكم على غير نسق معين , بل هو يجمع بعضها إلى بعض كما اتفق له عند النظم يذكر زهير أن الذى يعمَّر طويلا يسأم العيش , ويرى أن الموت لا يقصد أن يأخذ فلانا وفلانا , وإنما هو يضرب يمينا أو شمالا على غير هدى , فمن اتفق أن يقع تحت ضربته مات . الموت يخبط فى الناس كالناقة العمياء , فمن أصابه أهلكه , ومن أمهله لقى الهرم والمتاعب , والموت واقع ولو اتخذ المرء لنفسه حبلا إلى السماء .

ويرى زهير بعده بأن الناس يتعايشون بالمصانعة– بالمداراة والرياء وأن الناس يحبون من يستفيدون منه , فإذا بخل الغني بماله على قومه المحتاجين ذموه , ومع العلم بأن معلقة زهير هذه دعوة عالية إلى السلم , فإنه فى حكمه التى فى آخر المعلقة يؤكد صواب الرأي الجاهلي فى الظلم (الإعتداء على الأقوياء حتى لا يعتدى الأقوياء عليك). ثم يرى زهير بأن من تحلى بالوفاء لقى الحمد والثناء , ومن ذاق حلاوة الإحسان لم يتردد فى إسدائه ومن يصنع فى المعروف فى غير أهله يقابل معروفه بالذم ويعقب الندامة ومن لا يحم حوزته بالسلاح يكن غرضا للعدوان , وإذا لم يكن المرء قويا قادرا على ظلم الناس فإن الناس يظلمونه و من يغترب عن قومه تختلط عليه الأمور فلا يعرف عدوه من صديقه حتى يستقر على تجربة . ومن لا يحترم نفسه لا يحترم . ومن يخف من أخلاقه شيئا فلا بد أن يظهر, ثم إن المرء ما هو إلا صورة وإنما يكشفه ويظهر حقيقته أمران : القلب واللسان .

وأبيات زهير التى أوردناها توضح خصائص أسلوب الشاعر وتصور شخصيته . وإذا درسناها اتضحت لنا الأمور الآتية :

1. يبدو زهير من شعره شاعرا هادئا رقيق الكلام وحلوه ثم هو مسالم يكره الحرب ويعشق السلام وهو أخيرا حكيم قوى التجربة يتحلى بقدر عظيم من الأفكار الصادقة .
2. يظهر فى شعر زهير أثر التنقيح والروية كالنابغة — من عبيد الشعر , أى من الذين ينقحون شعرهم, ولقد كان زهير يبالغ فى ذلك التنقيح حتى سمى النقاد قصائده " الحوليات " لأنه يقضى حولا (عاما) كاملا فى نظم القصيدة الواحدة ينظمَها فى أربعة أشهر وينقحها فى أربعة أشهر ثم يعرضها على إخوانه فى أربعة أشهر (يرى رأيهم فيها ويعيد تنقيحها).

3. تشبيهات زهير وصوره منتزعة من البيئة البدوية كقوله : خبط عشواء , يضرس بأنياب , يوطأ بمنسم .

IV. منزلة زهير عند الشعراء

يعتبر زهير من شعراء الطبقة الأولى فى العصر الجاهلى , وكان يقال : " أشعر الشعراء امرؤ القيس إذا ركب , وزهير إذا رغب , والنابغة إذا رهب , والأعشى إذا طرب ". كما قلنا إن زهير من عبيد الشعر وهم فئة من الشعراء كانوا ينقحون أشعارهم ولا يرتجلون إرتجالا . ولهذا جاءت أساليب زهير مختارة منتقاة لا يقع فيها السقط ولا الضعف وقد سميت قصائده الطوال بالحوليات لأنه كان لا يفرغ من نظم القصيدة وتنقيحها وعرضها وإذاعتها فى الناس إلا فى حول واحد .

وكان الدكتور حسن شاذلى فرهود وإخوانه من الأساتذة فى جامعة الملك عبد العزيز يقول إن المسلمين يعجبون بزهير وشعره لما فيه من أفكار فاضلة توافق تعاليم الإسلام ولما فيه من لهجة صادقة لا تعرف المبالغة.[24]

فكان عمر رضى الله عنه يذكر زهيرا فيقول: "كان لا يعاظل وكان يتجنب وحشى الكلام ولم يمدح أحدا إلا بما فيه[25] " وكان عمر رضى الله عنه يعجب بيته الذى قسم فيه بينة الحقوق وهو قوله:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمينٌ أو نفار أو جلاءٌ

وهو يعنى أن هناك ثلاث طرق لإثبات الحق وهى إما اليمين أو المقاضاة عند شيوخ القبائل أو البينة الواضحة. ومما ينسب لعمر قوله حين قرأ هذا البيت : " لو أدركته لَوَلَّيْته القضاء لحسن معرفته ودقة حكمه "[26] .

V. الخلاصة

بعد استطراد كلامنا الطويل عن زهير وأشعاره الحكمية وخصائصه ومميزاته فتأتى الخلاصات الآتية منها:

1. كان زهير أحد فحول الشعراء المشهورين فى العصر الجاهلى وهو احد الشعراء السبعة الذين كانت أشعارهم مكتوبة بماء الذهب معلقة على أستار جدار الكعبة .
2. كانت أشعار زهير تتضمن كثيرا من الحكم التى تؤثر قرائها .
3. تبدو فى شعر زهير نزعة من التدين ولعلها هى التى اكسبته الصدق فى مدحه والوضوح فى أفكاره .

التعليقات الختامية:

[1] هم الثلاثة من الشعراء السبعة الجاهليين النابغين المشهورين الذين كانت أشعارهم مكتوبة بماء الذهب معلقة على أستار الكعبةوقيل بل سميت بالمعلقات لأن الناس علقوها فى أذهانهم , أى حفظوها ولعل هذا الرأى هو الأوجه لأن المسلمين حين فتحوا مكة وطهروا الكعبة لم يرد عنهم فى كتب السيرة ذكر للمعلقات .وللمعلقات قيمة أدبية عظيمة , وذلك لأنها تصور البيئة الجاهلية والحياة الجاهلية أوضح التصوير وأشمله . أنظر الدكتور شكرى عياد , *الأدب نصوصه وتاريخه* ., المملكة العربية السودية: وزارة المعارف , الطبعة الأولى , 1975, ص 21 , وكان أربع منهم وهم عنترة بن شداد والأعشى والخنساء وعمرو بن كلثوم. أنظر السيد أحمد الهاشمى, *جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء ولغة العرب.*, القاهرة: دار الفكر, جزء 2, د.س, ص 500 و دكتور شوقى ضيف , *العصر الجاهلى.*, القاهرة : دار المعارف, الطبعة الثامنة, 1960, ص 230-233

[2] الدكتور عمر فروخ, *المنهج الجيد فى الأدب الجديد.*, بيروت: دار العلم, الطبعة الأولى, دون سنة, ص 59

[3] دكتور شوقى ضيف, *المرجع السابق.*, ص 300

[4] ومن يتتبع القدماء فى درسهم له يجدهم يلاحظون أن زهيرا خرج من بيت شعر, إذ كان زوج أمه أوسُ بن حَجَرٍ شاعرا , كذلك كانت أخته شاعرة , وكان إبنه كعب شاعر النبى وهو مدحه مدحا مشهورا حتى تسمى أشعاره به قصيدة بردة لإعطاء النبي بردته الذي يلبس به فرحا عليه , ولكعب أخ يسمى بجيرا كان شاعرا صحابيا جليلا . وإذا استمررنا وجدنا لكعب أبناء وأحفادا من الشعراء . أنظر الدكتور شوقى ضيف , *الفن ومذاهبه فى الشعر العربي.*, مصر: دار المعارف, الطبعة السابعة, د.س , ص 25

[5] وكانت ذبيان وغيرها من قبائل غطفان تتعبد فى الجاهلية العُزَّى , ويقال إنها كانت شجرة أقامت حولها كعبة كانت تحج إليها , وقدى القرابين وقد هدمها خالد بن الوليد بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم , وربما قال الرواة إنها شجرات ثلاث , وقد يقولون إنه كان فى الكعبة وثن , وأكبر الظن أن هذا هو الصحيح فقد كان فيها وثن العزى , وكان من حوله شجرات يقدسونها . ومهما يكن فقد كانوا وثنيين, وظلواعلى وثنيتهم إلى ظهور الدين الحنيف . أظر *تاريخ العرب قبل الإسلام* للشيخ الجواد كما نقل به الدكتور شوقى ضيف, المرجع السابق., ص 301

[6] *أغانى* .., دار الكتب, جزء 10, ص 312 كما نقله دكتور شوقى ضيف , *الشعر الجاهلي*., المرجع السابق , ص 302

[7] نفس المرجع

[8] كانت الحرب قد نشبت بين بني عَبْس وبين بني ذُبيان بسبب إختلاف على سباق بين الْخَيْل . وقد عُرفت هذه الحرب بحرب داحس والْغَبْراء (وداحسٌ والغبراء فَرَسَانِ مذكر ومؤنث) وقد امتدت العداوة من أجل هذه الحرب بين قبيلة عبسٍ وقَبيلة ذُبيانَ أربعين سنة أنظر الدكتور عمر فروخ , *المرجع السابق* .., ص 59

[9] كانت الديات ثلاثة آلاف بعير أدَّيَاها فى ثلاثة سنين . دكتور شوقى ضيق , *المرجع السابق* .., ص 303

[10] ساعي غيظ بن مرة = الحارث بن عوف وهرم بن سنان (سعيا فى الصلح بين القبيلتين), تبزل (تشقق) ما بين العشيرة بالدم (ان القتلى الذين قتلوا من القبيلتين جعلوا العداوة بين القبيلتين شديدة) أنظر الدكتور عمر فروخ, *المرجع السابق*., ص 59

[11] البيت = الكعبة

[12] السحيل : الحبل إذا كان قتله ضعيفا (كناية عن أيام اليسر والسلم) والمبرم : الحبل إذا كان قتله شديدا (كناية عن أيام الحرب والضيق). *نفس المرجع*

[13] منشم: عطارة (بائعة العطر) , دقوا بينهم (غمسوا أيديهم فى) عطر (إشتروه من) منشم : أقسموا على الإستمرار فى الحرب . *نفس المرجع* .., ص 60

[14] قلتم: إذا استطعنا أن نقر السلم بملغ من المال (مهما كان كبيرا) كنا الرابحين لأننا نكون قد أنقذنا نفرا كثيرا من القتل

[15] انظر فى ذلك المحبر لإبن حبيب ص 238 حيث يذكر أنه كان ممن حرموا على أنفسهم فى الجاهلية الخمر والسكر والأزلام كما نقله دكتور شوقى ضيف , *المرجع السابق* .., ص 303

[16] رأيت الموت يتناول الناس من غير تمييز بينهم كما تمشى الناقة العشواء (الضعيفة البصر) فمن اتفق له حادث موت مات صغيرا أو شابا , ومن لم يتفق له ذلك عاش حتى يهرم . أنظر الدكتور عمر فروخ, *المرجع السابق*., ص 60

[17] عم : أعمى

[18] يصانع : يدارى , يضرس : يمضغ . يوطأ بمنسم : يداس بأرجل الإبل

[19] من يبذل ماله ليصون عرضه يبق عرضه موفورا (كريما مصونا) , يتقى : يتجنب

[20] من لم يدافع عن حوض الماء (كناية عن المال والعرض , لأن الما أثمن شيئ فى الصحراء والبادية معا) بالسلاح , يهدم حوضه لكثرة من يجيئ إليه للإستقاء منه . ومن لا يعتدي على الناس (يحارهم) إعتدى الناس عليه . الظلم (حسب معناه فى الجاهلية) هو أن تبدأ الآخرين بالحرب . *نفس المرجع* .., ص 61

[21] من حاول أن يتجنب الحوادث التى تؤدي عادة إلى الموت (كالحرب والسفر والمرض) نالته تلك الحوادث ولو صعد إلى السماء . *نفس المرجع*

[22] خليقة : خلق , خالها : ظنها
[23] كائن : كثيرا , ربما أبصرت رجلا صامتا فأعجبك , فَإذا تكلم زاد مقامه فى عينك أو نقصت قيمته عندك
[24] الدكتور شكرى عياد , *المرجع السابق* .. ص 86
[25] *نفس المرجع*
[26] *نفس المرجع*

المراجع

الدكتور شكرى عياد , *الأدب نصوصه وتاريخه* .. المملكة العربية السودية: وزارة المعارف , الطبعة الأولى , 1975.

السيد أحمد الهاشمى, *جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء ولغة العرب.*, القاهرة: دار الفكر, جزء 2, د.س.

دكتور شوقى ضيف , *العصر الجاهلى.*, القاهرة : دار المعارف, الطبعة الثامنة, 1960.

_____ , *الفن ومذاهبه فى الشعر العربي.*, مصر: دار المعارف, الطبعة السابعة, دون سنة.

الدكتور عمر فروخ, *المنهج الجيد فى الأدب الجديد.*, بيروت: دار العلم, الطبعة الأولى, دون سنة.